



ثورة الأدب الرومانسي وحركة التغيير

كان لظهور المدرسة الرومانسية في أوروبا بعد قرن ونصف من ظهور الحركة الكلاسيكية، تهدف إلى التخلص من سيطرة الآداب الإغريقية والرومانية، وبخاصة حينما بدأت أقطار أوروبا تأخذ نفسها نحو الاستقلال في اللغة والآداب والفكر والاستعداد لدخول عصر النهضة.

وتشتق الرومانسية من لفظة (رومانوس) وهو لفظ سويسري أطلق على اللغات والآداب المتفرعة عن اللغة اللاتينية القديمة.

نادت المدرسة الرومانسية وقامت بتغيير في بعض مبادئ وأركان المدرسة الكلاسيكية وهدمها للبعض الآخر جعل منها أهم حركة أدبية في تاريخ الأدب العالمي وأخطر مذهب أدبي عرفته الحياة الأدبية العالمية سواء في فلسفته العاطفية ومبادئه الإنسانية، أم في آثاره الأدبية والاجتماعية.

يقول الدكتور محمد مندور في كتابه (الأدب ومذاهبه): «يمكن القول أنها قد كانت في جوهرها ثورة تحريرية للأدب من سيطرة الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ومن كافة القواعد والأصول التي استتبطت من تلك الآداب».

الرومانتيكية، الرومانطيقية، الرومانتية، كلمات تؤدي إلى معنى واحد تتبع منه وهو الرومانسية.

وأهم ما برز فيه أدباء الرومانسية هو الشعر، والفضل يعود إلى ويليام ووردزورث (7 نيسان/أبريل 1770 - 23 نيسان/أبريل 1850) وصامويل تايلر كولريدج (21 تشرين الأول/أكتوبر 1772 - 25 تموز/يوليو 1834) الذين ألفا معاً أول كتاب في الأدب الرومانسي والحركة الرومانسية الذي يعرف بالأناشيد الغنائية، وهو كتاب شرح كل ما يجب معرفته عن الرومانسية وحب الطبيعة والخروج عن قواعد الأدب الرصينة والمحدودة التي وضعها الأدباء الفيكتوريون والمدرسة الكلاسيكية الحديثة في القرن الثامن عشر.

وظهرت الرومانسية كمذهب أدبي في عام 1820 في ألمانيا وإنكلترا قبل أن تتطلق في فرنسا وإيطاليا حيث تأخرت إلى العقدين الثاني والثالث منه. ويعود الفضل في نشأتها إلى رواد مهدوا لها من مثل كنت، وغوته، وشيلر، وإلى دعاة مفوهين من أمثال الأخوين شليغل، ونوفاليس، وشلايرماخر الذين أصبحت ألمانيا بفضلهم مركزاً لإشعاع الفكر الأدبي بعد أن كانت مجرد متلق سلبى في عهد الرومانسية الجديدة، وربما كانت إنكلترا أول متلق لهذا الإشعاع الألماني الذي تلقفه كل من وردزورث وكولريدج الذي أغناها بقراءة معمقة للتراث الأفلاطوني وما لبث هذا المد أن وصل فرنسا التي ظلت الاتباعية مهيمنة فيها أكثر من قرنين، مما جعل تجعر الرومانسية فيها مقروناً بالتوجه والعنف، وقد ساعد على تججيرها، مد الثورة الفرنسية ثم انسياح الملحمة اليونانبرتية التي طبعت أوروبا بميسمها في مدى عشرين عاماً، وعلى

الرغم من شعور الكراهية لعهد الإرهاب الذي خيم على الثورة بظله البغيض، فإن مبادئها ظلت ترفد الخيال وتمده بدمها الحار المتدفق في شرايين الأدب، محدثة صدعا عميقاً في كيان الاتباعية، وكانت لانطلاقها الثورة على الأوضاع ولم تكن في الأدب فحسب بل في جميع المجالات - وإنما تاريخ الرومانسية بدأ في عهد أبعد على يد دنيس ديدرو عام 1750 ومدام دى ستال - وروسو لهم الفضل في ترسيخ الرومانسية كمذهب أدبي.

كانت التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حتمت على أوروبا تغيير اتجاه مصادرها الثقافية، وقلبت رأساً على عقب الذوق الأدبي والفني في المجتمع، ومما سهل انتشار الرومانسية الجو السياسي الأوربي، فعلى ضوء المصاييح الثورية، وعلى صوت مدافع الثورة الفرنسية ظهرت طبقة جديدة تسلمت مقاليد الحكم والسلطة، وظهرت مفاهيم الأمة والشعب والمواطنة والحرية والمساواة والعدالة، وعمّ هذا التيار كل أوروبا منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى أواسط القرن التاسع عشر، وهي المدة الموازية لتصادم القوميات وشعور الأدباء بغنى الألوان المحلية وضرورة العودة إلى المنابع الحية للإلهام، وفي فرنسا بصورة خاصة، وافقت هذه الحركة المجددة مطلع المثقفين إلى تحرير المضطهدين وإنصاف المظلومين والمحرومين منذ عهود سحيقة، كما أن انحلال نظام نابليون وعودة النظام القديم ومثله أرهصت للتطلع نحو ظهور البطل الرومانسي المتعطش للحب والشعر والجمال.

ومن جهة أخرى فقد سببت مجازر الثورة ثم الحروب الطاحنة في أوروبا صدمة عند الجيل الذي كان مشبعاً بروح الوطنية والمغامرة والأحلام بانتصارات عظيمة ومستقبل زاهر لبني الإنسان، حين وجد نفسه خائباً ومحروماً من كل مثال وأمل، فسأد شعوراً بالخيبة والإحباط والقلق والانطواء على الذات، ونتيجة ذلك ظهر في الطبقة البورجوازية والوسطى أدباء وفنانون، لم يتجهوا إلى النخبة النبيلة أو المثقفة ولا إلى القصور والحكام بل إلى سواد الشعب، وهجروا اللغة النبيلة المتكلفة ولغة الصالونات الأدبية، وبذلك تجددت الأساليب والمفردات والأجناس، وحلّ مفهوم (الفرد) محلّ المفهوم الكلاسيكي للإنسان، وعمّت ودي شامب وسانت بوف، جلوا فيها منطلقات الرومانسية وأسسها، مركزين اهتمامهم على المسرح، ومع ذلك فلم

لقد انتشر المذهب الرومانسي في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، ولكنه بقي في الأوساط الأكاديمية الرسمية منظوراً إليه بشيء من الريبة والاستكار، واشتدت الخصومة بين أنصار القديم وأنصار الجديد، وتباعد السياسة والأهواء بينهما، فكان بعضهم يجتمع حول صحيفة «الكونسرفاتور الأدبي» وبعضهم الآخر يضمه صالون «إيتين دي لوكلو» وأنصار القديم ومريدوها إلى فئتين تتطرق بلسان الأولى صحيفة «ربة الشعر الفرنسية» ذات الاتجاه المعتدل، وتطلق بلسان الثانية صحيفة «الكوكب» ذات الاتجاه التحرري، وبدا فيكتور هوغو، كأته الرئيس الموجه للرومانسية، وإذ إنها تركز على المسرح بصورة خاصة، فقد ألقى الإبداعيون أنه من الأجدى لهم أن يفوّقوا سهام نقدهم إلى معقل الاتباعية التقليديّة: المسرح. وكذلك ترادفت مقالات وبيانات شتى وقعها هوغو ودي شامب وسانت بوف، جلوا فيها منطلقات الرومانسية وأسسها، مركزين اهتمامهم على المسرح، ومع ذلك فلم

ألكسندر داموس

ويليام ووردزورث

فيكتور هوغو

صامويل كولريدج

ستتال

يوهان غوته

فريدريك شلايرماخر

أنفوس دو لامارتين

مدام دى ستال

جان روسو

يكن في جعبة الإبداعيين أثر مسرحي، يمكن أن يضاهي بنضجه وكماله مسرحية «السيد» لكورني، وكان من آثارها ظهور مقدمة مسرحية فيكتور هوغو: (كرومويل) 1827، والجدل العنيف الذي ثار حول مسرحيته (هرناني) 1830، ثم تسربت ملامح هذا المذهب الجديد إلى البرتغال وروسيا وإنكلترا، وكان فيكتور هوغو (1788 - 1824) قد دافع بحماسة عن نسبية الذوق الشعري وعلاقته بالتطور الزمني والاجتماعي، فأصبح بذلك رومانسياً دون أن يدري، وأصبح من أعلام الرومانسية فيما بعد كل من: سكوت وكولردج ووردزورث وشيلي.

لقد تصدى هوغو في مسرحيته (هرناني) لقلعة الاتباعية وقواعدها المعروفة في المسرح، ولاسيما لقاعدة الوحدات الثلاث، وقد رسم تصديه العنيف بمعركة هرناني الناشبة ما بين مرحب منافع عنها، ومهاجم منتقد لها، وقد استلهم هوغو موضوعها الشائق من تاريخ أسبانيا، واتسق له أن يستشرف بها ذروة الإبداع والروعة، بما يترقق فيها من غنائية وماء وطلاوة. وهكذا أضحى عام 1830 منعطفاً مهماً ضمن أبرز اتجاهات الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر وقمة باذخة تماثل - على حد قول لامرتين - قمة جبل شامخ بين منحدرين.

وتتصف الإبداعية في بقية البلدان الأوربية، ولاسيما في ألمانيا وإنكلترا، بأنها لم تلق عنثاً يماثل ما لقيته الإبداعية في فرنسا، ولم تتسم بمثل حدثها، وقد برزت ملامحها العامة، في هذين البلدين، قبل أن تؤتي الإبداعية الفرنسية أكلها وثمارها، ففي ألمانيا، هيمان طيفا غوته وشيلر، في البدء، ثم أتى هولدلين ونوفاليس وهائنه ليغنوا الإبداعية الألمانية ويهبوا لها أفاقاً من غوارب الخيال المجنح، وفيضاً من العاطفة المتدفقة. أما في إنكلترا فقد طغى طيف شكسبير، بمسرحه الخصب المتنوع، المترع بنزوات الأهواء ولهب العواطف، ثم اشترأب من بين أعلام الإبداعية الإنكليزية، وردزورث وكولردج وكيثس، لتتسم العاطفة المراهفة في أشعارهم، وشق والتر سكوت طريق الرواية التاريخية النابضة بالصور المعبرة الحية، وترادفت روايات الشقيقات شارلوت وإميلي وأن بروتتي شوامخ بين آثار الرواية الإنكليزية الإبداعية بما يترقق فيها من حساسية وعاطفة.

المرأة والطبيعة، مجلّي للإبداعية:

لا ريب أن المرأة هي مصدر رئيس أساسي للإلهام الشاعر،

تثير فيه أعمق ما يمور في جوانحه من مشاعر، بيد أن السعادة التي ترفض المرأة أن تهيبها له، أحياناً تحمله على أن ينشدها في الطبيعة نفسها، ولربما بدت المرأة والطبيعة متماثلتين، في إثارة مواقع الحزن والأسى لديه على نحو ما عبر عنه جيداً هوغو في قصيدته «حزن أولامبيو» التي يفصح فيها البطل عن خيبته المريعة من المرأة والطبيعة معاً، فلا عجب إذن أن تخلق الرومانسية نموذجاً جديداً للبطل، مخالفاً لنموذج البطل في الكلاسيكية، إذ يتراءى في الرومانسية فيما هو يجتر آلامه، منفرداً وحيداً، كما يتراءى وجوده سلسلة من التمرد والنضال، لأن نهاية هذا الوجود واشية بالإخفاق، الذي تقرضه لعنة قاسية شرسة، وتظل الطبيعة بعد هذا كله، الملاذ الأخير الذي يفزع إليه الشاعر الحزين، ويجد فيه سلواناً عما أفاء في الحياة من إحباط، وما لقيه من المرأة من صد وهجران، ها هي ذي الطبيعة إذن تناديه وتخلص له، على النحو الذي عبر عنه لامرتين بقوله: «ها هي ذي الطبيعة ماثلة أمامك، إنها تحيك وتدعوك» وحين تأخذ الأرض زخرفها مُمرعة زاهية، فإنها تعلم الشاعر أيضاً وتلهمه: «إن نبضة واحدة من غابة ريعية - كما يقول وردزورث - كفيلة بأن تعلمنا عن الإنسان، وعن الخير والشر، أضعاف ما يعلمنا إياه الحكماء كافة».

وللأدب الرومانسي مقومات، التعبير عن الذات، وحب الطبيعة، وكان روسولا يجد السعادة إلا في أحضان الطبيعة، وكان يختار كلماته بمنتهى الشاعرية فضلاً عن الإيقاع الموسيقي الذي أدخله في جملة، ونجد أيضاً مدام دى ستال لها دور بارز في الأدب الفرنسي والسياسي معاً حتى أن نابليون أبعداها عن الحركة السياسية لأفكارها الانقلابية والمتحررة، وكان لها إسهام مهم ومبكر في الدراسات الأدبية والنقدية التي شجعت الاتجاه نحو الرومانسية، ففي كتابها (من الأدب) بينت أن الحرية أساس التقدم، ولذلك كانت تبحث في كل عمل أدبي قديم أو حديث عن توجه الحرية أو خمودها، وتهتم بالبحث عن تأثير الأدب بالفضيلة والخير والمجد والحرية والسعادة والعادات والأمزجة والقوانين، وعن تأثيره في هذه الجوانب، وبذلك فتحت الباب للبحث في علاقة الأدب بالمجتمع، وتضمن كتابها (من ألمانيا) فصولاً نقدية في الشعر والرومانسية، وأخرى في النقد عند (ليسنغ) و(شليغل)، وعرفت القراء الفرنسيين إلى الشعراء الألمان مثل غوته وشيلر، والأدباء الروس والإنكليز، وسبقت

بأفكارها حول الرومانسية (شاتوبريان) وأكملت آراءه. أما عن الكاتب الذي ينتسب له الرومانسيين جميعاً هو فرانسورينيه الفيكونت دوشاتوبريان ذلك الرومانسي الحالم الحزين الرائع الذي أسهم في الاتجاه نحو الرومانسية في معظم ما تركه من كتب ومؤلفات، فقد وسع مفهوم الالتفات إلى الطبيعة بكثرة ما وصف من المشاهد الطبيعية التي شاهدها في البلدان الكثيرة التي طوّف بها من أمريكا إلى فلسطين، بما في ذلك البحار والغابات والجبال والأنهار التي عاشرها آناء الليل والنهار وأحسّ بما توحيه من العظمة والروعة والوحشة، وتعاطف الإنسان معها وامتزاج أحاسيسه بها.

أما الكأبة العصرية فكانت معروفة قبله في مؤلفات روسو في (هيلوبيز الجديدة) 1760، ولدى غوته في (فيرتر) الذي ترجم إلى الفرنسية عام 1778، ولكنها كانت تردّ لديهما في لمحات قليلة أو استثنائية وشخصية بخلاف ما هي عليه في كتاب شاتوبريان: (رونيه) الذي شخّص فيه كأبة العصر بكامله، وأبرز مآسيه الشاملة وما انتابه من كوارث الموت والدمار والخيبة في أثناء الثورة الفرنسية وما تلاها من الحروب، حيث لم يبق عزاء إلا في الطبيعة والدين، مما جعل هذا الاتجاه أساساً للغنائية الجديدة بمعنييها السلبي والإيجابي.

أما تجديده في النقد الأدبي فيبدو في انتقاله من نقد الأغلاط والعيوب إلى النقد الجمالي، والربط بين الأثر الأدبي والحالة الحضارية والمزاجية العامة، لأنه نتاج هذه الحالة والمعبر عنها والمؤثر فيها، وفي الحقيقة كانت مدام دوستايل قد سبقته إلى ذلك، ولكن خصوصية (شاتوبريان) تكمن في حسمه الخصومة بين القديم والحديث لصالح الحديث، عندما بنى أحكامه وتقويماته الأدبية والفنية على ذوق عصره وعقيدته أكثر من تعويله على النظريات المعرفية السابقة، وبمقارنته بين نماذج الرجل والمرأة والأم والزوجة والزوج والمحارب في الأدب القديم والأدب الجديد، وتأكيده أن أصالة الكلاسيكية لم تكن لتسطع في بهاثها إلا فيما أضافه الكتاب من الإغناءات والتغييرات على نماذجهم البشرية من خلال النظرة النسبية.

وجاءت الرومانسية كمذهب أدبي في محاوله لمحاربه الأوضاع آنذاك والوصول بالإنسان للرقى الحضاري والتحرر من القيود الأدبية والدفاع عن الحرية والإنسانية وإعطاء



الإحساس والعقل معاً دوراً بارزاً في الحياة فكان أول ديوان شعري يجسد الرومانسية هو ديوان (تأملات شعرية) لامرتين فقيه حب الطبيعة وحب الله وتجسيد واضح للحب الصافي النقي بلغه شعرية عذبه رائعة يقول في ديوانه:

إن الطبيعة هنا حولك تدعوك وتحبك
فارتم في أحضانها وعلى صدرها الحنون
فهو دائماً مفتوح لك عندما يتغير كل شيء
من حولك فالطبيعة لا تتغير
نفس الشمس تشرق على أيامك

في شعر لامرتين نجد الرقة والعذوبة ورهافة الحس.

تابع الثراء الرومانسي بعد لامرتين على يد فيكتور هوغو ونشر جريدة الموز الأدبية في محاوله لنشر الرومانسية وجاءت روايته الرائعة كروميل تعبيراً صادقا على عظمة هوجو والرومانسية عموماً. نجد في الرواية الشعرية التحرر من القيود مع الاحتفاظ بروح القصيدة، ورغم ذلك ظلت الرومانسية في خطر، وقال هوجو وقتها: «لقد فتحت الثغرة وسوف تمر»، وتواتت المسرحيات الأدبية وظهرت مسرحية (هرناني) لهوغو التي لاقت انتصاراً رائعاً وانتصرت الرومانسية 1830 ويقول هوغو: «إن الحب الإلهي هو الغاية السامية لكل المحبين، والله موجود بقوة في الأدب الفرنسي الرومانسي وجميع الكتاب الرومانسيين يعرفون الله وإن للوجود خالق».

وجاءت الروائع تتوالى فمسرحيه سقوط ملاك وجوسلان للامرتين جاءت أروع مما كان يتصوره البعض من الإبداع القصصي والغزارة الشعرية والاتساق الأدبي واتجه لامرتين للقضايا الاجتماعية وكان له أثراً رائعاً في المجتمع الذي يعيشه واشترك في الحياة العامة، وكان مثل هوغو عضواً في البرلمان الفرنسي، وأخذ لامرتين يطالب في أشعاره بمجتمع مبني على الأخوة والمساواة، وكان إنتاج هوغو غزيراً فكتب عشرين ديواناً وملحمة مثل التأملات وأوراق الخريف والأصوات الداخلية، وكان هوغو مؤثراً كلامرتين في المجتمع فكان يهجو نابليون ويقول هوغو عن ديوانه (التأملات) أنه مذكرات روح، وكان يتمتع بخيال خصب يوحى بصور بديعة وتشبيهات جديدة تبهر القارئ.

ونأتي لشاعر آخر له الأثر الكبير في الأدب وهو الفريد دي موسيه لقد عاش ومات تعيساً، وهو الطفل الشقي في أسرة الرومانسيين، ويقول موسيه: «لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم

عظيم بعد أن تعذبنا علينا أن نتعذب من جديد». ونجد من الكتاب العظماء دوماس صاحب (الفرسان الثلاثة)، فهو أيضاً كان من الأدباء الرومانسيين المتمردين على الواقع.

وقد رأت مسرحيات موسيه الرواج العظيم ومن المؤرخين الرومانسيين المؤرخ ميشليه وكان يتمتع بحس مرهف وقلب يخفق بالحب وكرس حياته للدفاع عن المحرومين وعن حقوق الشعب ومن أعظم مؤلفاته تاريخ فرنسا.

وانتشرت الرومانسية في جميع المجالات ففي الأدب نجد لامرتين وهوغو وغيرهم وفي الفكر نجد روسو وفولتير وفي التاريخ ميشليه وغيرهم في نواحي الحياة وانتشرت الرومانسية انتشاراً رائعاً وتفاعلت مع الواقع والمجتمع وكان لها دور بارز في محاربه الفقر والجوع والحكم الفاسد ونشر الحرية والديمقراطية والكفاح ضد الظلم والجبروت وسعت لرقى الإنسان وازدهاره وتقدمه الفكري والحضاري، وانتقلت من فرنسا للعالم العربي وتكونت لها المدارس والمنديات والمجلات والإذاعات.

ومن خصائص هذه المدرسة نجد أن الأدب الرومانسي اتصف بعدة صفات أهمها: أنه يجسد العقل، ويتوج مكانه العاطفة والشعور، ويسلم القياد للقلب. هو أدب ثورة وتحرر، وعاطفة يكثر فيه الشعر الوجداني والإفشاء بذات النفس في قوة تشي بطابع الفرد وتعبّر عن آلامه فهو أدب ذاتي يشوبه عدم الرضا بالواقع ومحاولة التمرد عليه، والتغني بالآلم والهروب من الحياة المدنية والقلق على المجتمع وما يعج به من أحداث والحزن الغالب على النفس في كل حال وبدون سبب والتمرد على عقلانية عصر التنوير، كما اقترنت هذه الحركة بالحنين إلى الشرق، هذا العالم الغريب الغامض المليء بالأسرار الذي وجد الرومانسيون في فروسيته ونورانية مشاعره وقوداً للخيال ومصدر خصب للتعبير عن العاطفة أوفر حرارة وحيوية من نور العقل والمادية وحب السلطة التي هام بها فلاسفة الغرب ...

وهكذا عمت الرومانسية جميع أقطار أوروبا وأصبحت مذهباً قوياً يناهض الكلاسيكية، ولكنها لم تُسد فجأة بل تبعت منحى تطورياً بطيئاً مرّ بمراحل عديدة من الإرهاص والتجربة والتحضير والتعايش مع النظام الكلاسيكي في كثير من الشّقايق والتصادم حتى عمّ الاقتناع به أوربا كلها، وقد استغرق ذلك قرابة قرن من الزّمان.

فقد خلّفت الرومانسيّة بصماتها على الأدب كله، وتحدّرت

حساسيتها المتوقّزة، وعاطفتها المتّقدة، إلى حركات وليدة جديدة، لم تستطع أن تستغني عن لَهَب العاطفة ودفع القلب ووساوس الوجدان. يقول الشاعر الألماني آيخندورف: «إن الرومانسية هي أبعد من أن تكون حدثاً أدبياً، بسيطاً فحسب، إن هدفها لينحو إلى مدى أرحب، هو إنجاءُ خلقٍ جديد للوجود كله، كما كان يدعو إلى ذلك نوفاليس». وانفطر نهر الرومانسية اللُّجِّي العارمُ إلى جداول شتّى، لنجد الحركة السريالية نفسها تحذو حذو الرومانسية في إثارتها بدوات العاطفة ونزواتها وعالمَ الأحلام ورؤاه على العقل ومنطقه الجاف البارد، ونجد قوافل من الكتاب المبدعين، تنحو نظراتهم إلى الإبداعية، تأخذ عنها وتتأثر بها، مثل أونوريه دي بلزاك الذي استجلى في رواياته كلها ملامح المجتمع الفرنسي بكل ما يحفل به من طبائع وأهواء ومبازل، وانساق أسلوبه المميّز في سياق الرومانسية والواقعية والطبيعية معاً، كما نجد كاتباً معاصراً جان جيونو يجلو بأسلوبه العفوي المتدفق كلُّ ما يزخر به الريف الفرنسي من زخرفٍ وجمال، لينحو في مؤلفاته الأخيرة، إلى ستاندال ويأخذ بمدرجته في موضوعاته وأسلوبه، ونلفي كاتباً معاصراً آخر هو فرانسوا مورياك يغمس قلمه في مداد العاطفة والأهواء الجامحة التي كان يسعى الإبداعيون الأوائل جاهدين لاستجلائها.

يقول ميشيل بوتور أحد كتاب الرواية الجديدة في فرنسا: «لقد بدأت الحركة الرومانسية في نهاية القرن الثامن عشر، ومازالت تنمو مطّردة من دون انقطاع حتى الآن». ويؤكد ذلك غايتان بيكون بقوله: «على الرغم من جميع ردود الفعل المضادة للرومانسية التي اتسمت بها المرحلة التي أعقبتها فإنه يمكن القول إن الأدب المعاصر ينبثق من الإبداعية، فمنها وحدها انبجست الحرية نفسها التي أنكرتها ورفضتها».

الرومانسية في البلاد العربية:

ولم يكن العرب بعيدين كثيراً عن هذه المدرسة، فظهرت الحركة الرومانسية أولاً في سوريا، وتبعتها بقية بلاد الشام، ثم واصلت هذه الحركة تقدمها إلى أن غزت العالم العربي بأكمله و أصبحت جزءاً لا يتجزأ من مسيرة الأدب العربي. وبالرغم من أن الرومانسية العربية كانت في بادئ نشأتها انعكاساً للرومانسية الغربية، فإنها لم تصل في جميع مراحلها إلى ما وصلت إليه الرومانسية الغربية من إلحاد وأعمال سيئة غير أخلاقية أضفت عليها طابع التشاؤم، وألقت بأدبائها إلى بؤرة الجريمة، لقد بقيت الرومانسية العربية محصورة في

حدود الدعوة إلى الرجوع للذات، ووصف تجارب الأديب الفردية والإنسانية في حدود ما يشعر به أو يصل إلى تفكيره؛ فوجدت بذرة الرومانسية في الحضارة العربية تربة صالحة لنموها وترعرعها، حيث اتسعت دائرة المثقفين، وبرزت ملامح الطبقات الاجتماعية.

ظهور الرومانسية في الأدب العربي:

بدأ الاتصال بالثقافة الغربية منذ المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي فأخذت البعثات العلمية تقتصد أوروبا لتغترف من الحضارة الجديدة وعادت تحمل هذا التأثير من المثقفين العرب فتأثر معظم الشعراء بنظرائهم في الغرب وفي مقدمتهم خليل الخوري توفى سنة 1907 الذي كان على اتصال تراسلي مع لامارتين.

ويعزو بعض النقاد أسباب ظهور المذهب الرومانسي إلى ما عاناه الجيل العربي أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، من كبت للحريات والعواطف والقيود ومصادرة الأفكار الحرة وممارسة القمع والتعذيب فانطوى الشاعر على نفسه وانسحب إلى دنياه الأحلام متقلبا بين اليأس والأمل.

وكانت هناك رغبة في التجديد، فقد ضاق الأدباء ذرعا بالموضوعات القديمة والصور التقليدية وأرادوا التحرر من القيود القديمة التي كبت حرية الشاعر في الإبداع.

وقد غزت الرومانسية الشعر العربي على أيدي شعراء المهاجر الأمريكية ثم بعد اتساعها ضمت عدداً كبيراً من شعراء الوطن العربي ومن أبرزهم:

على محمود طه، وأحمد عبد المعطى حجازي، وفرح انطون، وأمين الريحاني، وإبراهيم ناجي، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وأبو القاسم الشابي، وخليل حاوي، ويوسف الخال، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وصلاح عبد الصبور، وشعراء مدرسة الديوان: العقاد والمازني وشكري وخليل مطران (أبو الرومانسية) .. وقد سار على نهج هذه المدرسة الشعرية من شعراء الخليج كل من: (إبراهيم العريض، وأحمد محمد خليفة، وغازي القصيبي، وأحمد العدوانى) في بعض قصائده التجديدية) وغيرهم.

ثم اتسعت دائرتها وتشعبت لتشمل جمعاً غفيراً من جيل الشعراء الشباب في الوطن العربي.

وقد ظهرت الرومانسية في الأدب العربي على صورة مذهب نظري نقدي ثائر قبل أن يجسدها الأدباء في إنتاج فني وقد

تبلور هذا الاتجاه في كتابين نقديين هما: الديوان سنة 1921 لكل من عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني. وكتاب الغربال الذي صدر سنة 1922 "ميخائيل نعيمة" وتحت هذا المذهب النظري نشأت عدة تنظيمات أدبية أهمها:

1 - **مدرسة الديوان** أو (**مدرسة التجديد الذهني**): دعا إليها- العقاد والمازني - ومن شعرائها عبد الرحمن شكري وقد حملت لواء التجديد والثورة على الأدب المحافظ متأثرة بالمدرسة الرومانسية الإنجليزية وقد نهجت في كتابها (الديوان) المنهج ذاته الذي نهجته (مجموعة الكنز الذهبي) وشعارها هو بيت (عبد الرحمن شكري)في قصيدته (ضوء الفجر):

ألا يا طائر الفردو س إن الشعر وجدان

وقد قامت هذه المدرسة على دعامتين أساسيتين هما :

- سعة ثقافة أصحابها: فقد عكفت هذه المدرسة على التراث العربي الأصيل وأعطلته حقه من التحصيل والتحليل والدراسة.
- الإطلاع الواسع على الأدب الغربي: لقد اهتمت هذه الجماعة بعيون الآداب الأوروبية الغربية وخاصة الأدب الإنجليزي الذي نال قسماً وافراً من الاهتمام. وقد تميزت أعمال جماعة الديوان ببعض الخصائص الفنية نجملها فيما يأتي:
- كان أدبهم إنسانياً يحمل رسالة سامية، ويرون أنه يجب على الأديب أن يطيل التفكير في الحياة وما تحمله من قسوة وهموم .
- البعد عن الصنعة والتكلف حتى يكون الأدب مفعماً بالمشاعر القوية والأحاسيس الذاتية .
- دعوتهم إلى الشعر المرسل وتعدد الثقافية في القصيدة على خلاف النظام القديم.
- الصدق الفني في التجربة الشعرورية لأن القصيدة عندهم تنقل بصدق ما في نفس الشاعر من معان وانفعالات وأحاسيس .

2 - **الرابطة القلمية:**

تمثل شعراء المهجر الشماليين وهي مدرسة قائمة بخصائصها في التعبير والتفكير. تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1920، برئاسة الشاعر جبران خليل جبران ومن أبرز أعضائها ميخائيل نعيمة رشيد أيوب وإيليا أبي ماضي ونسيب عريضة وغيرهما من أدباء المهجر. تتميز هذه الرابطة بدعوتها إلى التجديد ومبالغتها في ذكر الأوطان كما أنها لا تلتزم بالدقة اللغوية وقواعد الصرف والنحو .

3 - **جماعة أبولو** (**أبولوب الشعر والموسيقى عند اليونان**): هي جماعة أدبية تأسست سنة 1932 دعا إليها أحمد زكي المعروف بأبي شادي، وقد ترأسها أمير الشعراء أحمد شوقي ووفاته في شهر تشرين الأول/أكتوبر من نفس السنة تزعمها الأديب خليل مطران، وقد انضم إليها علي محمود طه توفى سنة 1949 والشاعر أبو القاسم الشابي توفى سنة 1934 وكذلك الأديب إبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل، وحسن الصبيري في التيجاني يوسف البشير.

لقد اتخذت الجماعة لنفسها مجلة فنية حملتها لسان حالها دعتها مجلة (أبولو) برئاسة الدكتور أحمد زكي (أبو شادي) وراحت تروج لشعر ذي موسيه، وشيلر، وجورج ملتون، وبودلير وغيرهم من الشعراء الأوروبيين المجددين. وهذا الشاعر أحمد شوقي يصور آم ومعانة عاشها إخوانه في سوريا:

لقد اتخذت الجماعة لنفسها مجلة فنية حملتها لسان حالها دعتها مجلة (أبولو) برئاسة الدكتور أحمد زكي (أبو شادي) وراحت تروج لشعر ذي موسيه، وشيلر، وجورج ملتون، وبودلير وغيرهم من الشعراء الأوروبيين المجددين. وهذا الشاعر أحمد شوقي يصور آم ومعانة عاشها إخوانه في سوريا:

بني سوريا اطرحو الأمانى وألقوا عنكم الأحلام ألقوا فمن خدع السياسة أن تغروا بالقباب الإمارة وهي رق نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق

ومن أهم خصائص هذه الجماعة: التجربة الشعرية، الوحدة العضوية، الانغماس في الطبيعة، التجديد في القوالب والأوزان الشعرية.

4 - **جماعات أدبية أخرى:**

- العصبة الأندلسية: ومن أبرز شعرائها رشيد سليم الخوري.
- عصبة العشرة: إلياس أبو شبكة.
- النادي الفينيقي: ميشال معلوف.
- الثالوث الرومانسي: أبو القاسم الشابي.

وهكذا نرى أن المدرسة الرومانسية هي مدرسة أدبية كبيرة قدمت خدمات جليلة للأدب ونقلته نقلة لا يستهان بها من مرحلة كان آخر ما يثار في الأدب لمرحلة أخرى أصبح الإنسان ومشاعره هما من تسلط عليهما الأضواء باعتبارهما أساس الحياة.